﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾

[القصص: 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

شُكْرُ موسى عليه السلام ربَّهُ المنّان

لمّا ذكر اللّه سبحانه في الآية السّابقة توبةَ موسى عليه السلام من ذنبِهِ، وما أنعم اللّهُ سبحانه عليه بالإجابة إلى سُؤلِهِ وقبول توبتِهِ؛ ذكرَ في هذه الآية أنَّه شكر ربَّه على هذه النِّعمة التي أنعم بها عليه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ظَهِيرًا﴾: (ظهر) أصْل صحيح واحد يدلُّ على قوَّةٍ وبُروزٍ، مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهورًا فهو ظاهر؛ إذا انكشف، وبرز، ولذلك سُمّي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النَّهار وأَضْوَؤُها، والأَصْلُ فيهِ كُلِّهِ ظَهْرُ الإنْسانِ، وهوَ خِلافُ بَطْنِهِ، وهوَ يَجْمَعُ البُروزَ والقوَّةَ، والظَّهيرُ: المُعينُ، كَأَنَّهُ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى ظَهْرِكَ، والمُظاهَرَةُ: المعاونة، والتَّظاهُرُ: التعاون، قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦﴾ [القصص: 86]، أي: معينًا[2]، وهو المقصودُ بالآية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الشُّكر على النِّعم ومعاداة أهل الإجرام والنِّقم

قال موسى عليه السلام: ربّي بما أنعمت عليَّ بالتوبة والمغفرة والنِّعم الكثيرة، فلن أكونَ معينًا لأحد على معصيته وإجرامه[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبةُ الفصلِ في الآية:

مقابلةُ سترِ الله وغُفرانه لموسى عليه السلام بشكر نعمه

فُصِلَت الجملة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 258، والهرريّ، حدائق الروح والريحان: 21/ 120.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات: (ظهر).
(3) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 387.

أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ عن الجملة قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾؛ لأنَّ بينهما ما يسمّى في البلاغة بـ (شبه كمال الاتصال)، وهو كونُ الجملة الثانية قويَّة الارتباط بالأولى، فقد وقعت جوابًا عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى، ففُصِلت عنها، كما يُفصل الجواب عن السُّؤال[1]، فإنَّه هنا لـمّا أنعمَ اللّه سبحانه على موسى ﷺ بالإجابة إلى سؤله؛ تشوَّف السّامع إلى شكرِه عليها، فأجيب بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[2].

مناسبةُ إعادةِ لفظ: ﴿قَالَ﴾:

التَّنبيهُ على اتِّصال كلام الكليم

أُعيد فعلُ القول في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾؛ لإفادة تأكيد الفعل ﴿قَالَ﴾، في قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾، كما أُعيد القول للتَّنبيه على اتِّصال كلام موسى، حيث وقع الفصلُ بينه بجملتي: ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

سرُّ التَّعبيرِ بالباء في الآية:

أثرُ حروفِ المعاني في ثراء النَّظمِ القرآنيّ

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بحرف الباء في لفظ ﴿بِمَآ﴾، وهي تحتمل أن تكونَ سببيَّةً، أي: بسببِ ما أنعمتَ عليَّ مِنَ القوَّة أشكُرُك، فلنْ أستعملَ القوَّةَ إلّا في مُظاهَرةِ أوليائك[4]، ويحتمل أن تكونَ للقسم، و(ما): مصدرية، وجواب القسم محذوف، أي: أقسم بإنعامك عليَّ لأمتنعنَّ عن مثل هذا الفعل، وقيل: لأتوبنَّ[5]، وقيل: إنَّ الباء هنا للاستعطاف، كأنَّه قال: ربّي اعصمني بحقِّ ما أنعمتَ عليَّ من المغفرةِ، فلن أكونَ - إن عصمتَني - ظهيرًا للمُجرمين[6].

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 180.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 258.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 92.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 25، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 92.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 264.
(6) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 398.

نكتةُ التعبيرِ بـ(ما) في الآية:

شكرُ الإنعام بالابتعاد عن الآثام

تحتمل (ما) في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ أن تكون موصولةً أو مصدرية، فعلى فرض كونها موصولةً يكون قد حذف العائد من الصِّلة؛ لأنَّه ضميرٌ مجرور بمثل ما جُرَّ به الموصول، والحذف في مثله كثيرٌ، والتقدير: (بالَّذي أنعمت به عليَّ)، وعلى فرض أن تكون (ما) مصدريَّة، فالتَّقدير: (أقسم بإنعامك عليَّ؛ لأمتنعن عن مثل هذا الفعل)، واختلف العلماء في تحديد هذا الإنعام: فمنهم من قيَّده بالمغفرة وعدم المعاقبة على قتل القبطيِّ، واستشكله بعضهم في كيفية معرفة المغفرة قبل الوحي[1]، ومنهم من أطلق الإنعام فيما أوتيه موسى من الحكمة والعلم والجاه والعزَّة والمنَعَة[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ(عَلى) في ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾:

نِعَمُ الرَّحمنِ تعلو وتغطّي الإنسانَ

أوثرَ في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ التَّعبيرُ بحرف الجرِّ (على) الدالِّ على الاستعلاء، وهو هنا استعلاء مجازيٌّ، فنِعمُ اللّه سبحانه الكثيرة من العلم والحكمة والاصطفاء والعناية... تعلو موسى عليه السلام وتغمرهُ، وتغطّيهِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفاء في ﴿فَلَنۡ أَكُونَ﴾:

القسمُ بنصرةِ المظلومين وعدم مظاهرة المجرمين

وُصِل قوله تعالى: ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بحرف الفاءِ، وتحتمل السببيَّة، والتَّقدير: (لما أنعمت عليَّ بهذا الإنعام؛ فإني لا أكون معاونًا لأحد من المجرمين، بل أكون معاونًا للمسلمين)، وهذا يدلُّ على أنَّ ما أقدم عليه من إعانة الإسرائيلي على القبطي كان طاعة لا معصية[3]، ويحتمل أن تكون الفاء رابطة؛ لأنَّ الموصولَ كثيرًا ما يعامل معاملة اسم الشرط، فيقترن خبره ومتعلِّقُهُ بالفاء تشبيهًا

(1) الواحدي، البسيط: 13/ 361.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 280، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 225.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 258، وابن عادل، اللّباب: 14/ 258.

له بجزاء الشرط، وقد دلَّ هذا النَّظم على أنَّ موسى أراد أن يجعل عدم مظاهرتهِ للمجرمين جزاءً على نعمة الحكمةِ والعلم، بأن جعل شكر تلك النِّعمة الانتصار للحق وتغيير الباطل[1].

فائدةُ النَّفي بـ(لَنْ):

إلـــزامُ مـوسى نـفـسـه بـنـصر الأولياء ومعاداة الأعداء

عُبِّر في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ بحرف (لن)، وهو لنفي المستقبل مع تأكيد النَّفي، والتَّقدير: (بسبب الَّذي أنعمته عليَّ من القوَّة أشكرك؛ فلن أستعملها إلّا في مظاهرة أوليائك)، وهو إلزام لنفسه بنصرة أوليائه ﷺ كالنَّذْر[2]، وذهب الكسائيُّ والفرّاء إلى أنَّ هذه الآية خبرٌ، ومعناها الدُّعاء، وأنَّ (لن) واقعةٌ موقعَ (لا)، كأنَّه قال: ولا تجعلني ظهيرًا للمجرمين، ولكن ردَّه ابن هشام بأنَّ فعل الدُّعاء لا يسند إلى المتكلِّم؛ بل إلى المخاطَب أو الغائب، نحو: يا ربّي لا عذَّبتَ فلانًا، ويجوز: لا عذَّبَ اللّه تعالى عَمْرًا[3].

نكتةُ إيثار نفي الكون في الآية:

نفيُ الكون أبلغُ من نفي الفعل

أوثرَ نفيُ الكونِ في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، بدل نفي الفعل (فلن أظاهر...)؛ لأنَّ نفيَ الكون أبلغُ من نفي الفعل من جهة أنَّه يقتضي الدَّوام والاستمرارَ والمبالغة في رسوخ الوصف.

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظ: ﴿ظَهِيرًا﴾:

الـظَّـهـرُ أعـلى وأقـوى جـزء في جسم الإنسان

استُعمل لفظُ ﴿ظَهِيرًا﴾، في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، ومعناه: المُظاهِرُ، أي المُعين، وهو فعيل بمعنى مفاعل، أي: مُظاهِر، وهو مشتقٌّ من: ظاهر عليه؛ إذا أعان من يغالبه على غلبه، وأصله الأصيل مشتقٌّ من اسم جامد، وهو اسم الظهر من الإنسان أو الدابَّة؛ لأنَّ المعاون أحدًا على غلب غيره، كأنَّه يحمل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 93.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 265.
(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 375.

الغالب على المغلوب، كما يحمل على ظهر الحامل، فيكون بهذا المعنى استعارة تصريحية[1].

نكتةُ تنكيرِ لفظ: ﴿ظَهِيرًا﴾:

نفيُ المظاهرة والمعاونة للمجرمين

جاءَ لفظ ﴿ظَهِيرًا﴾ نكرةً في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾؛ لإفادة الإبهام والعموم، إضافةً إلى مجيء هذه النِّكرة في سياق النَّفي، فتقتضي العموم أيضًا، والمقصود من ذلك المبالغةُ في نفي المظاهرة والمعاونة للمجرمين.

فائدةُ التَّعبيرِ باللّام في ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾:

مظاهرةُ المستضعفين المؤمنين على المجرمين

وردَ في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ حرفُ اللّام، ومعناه التعليل، أي: فلن أكونَ ظهيرًا لأجل المجرمين، بل لمظاهرة المستضعفين المؤمنين من قومي على المشركين.

سرُّ التعريف بـ(أل) في ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾:

تنوُّعُ الدَّلالة بين العهد أو الاستغراق

تحتمل (أل) في لفظ ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ العهد أو الاستغراق، فإن كانت للعهد؛ فالمقصود بالمجرمين الإسرائيليُّ الذي خاصمه القبطي، فأدت معاونته إلى جرم، وعلى الاستغراق يكون المقصودُ به كلَّ المجرمين، ويدخل فيه فرعونُ وقومه دخولًا أوَّليًّا، وهو الأوْلى.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ: ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾:

دلالةُ الإجرامِ بين الحقيقة والمجاز

استُعمل لفظُ ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، والمجرمون جمع مجرم، والمراد به من أوقع غيره في الجُرم، أو من أدَّت معاونته إلى جُرم، كالإسرائيليِّ الذي خاصمه القبطيُّ، فأدَّت معاونته إلى جرم في نظر موسى ﷺ، فيكون في المجرمين مجازٌ بالنِّسبة للإسناد إلى السَّبب، وجوَّز أن يرادَ بذلكَ الكفّار، وعنى بهم من استغاثَهُ ونحوه، بناء على أنَّه لم يكن أسلم،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 57.

وقيل: أراد بالمجرمين فرعونَ وقومه، والمعنى: أقسم بإنعامك عليَّ لأتوبنَّ، فلن أكون معينًا للكفّار بأن أصحبهم، وأُكثِّر سوادهم، وقد كان ﷺ يصحب فرعون، ويركبُ بركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمّى ابن فرعون[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المظاهرة والتَّقوية والنُّصرة والإعانة:

عـمـومُ الإعـانـة وخـــصـــوص النُّصرة بالغلبة والتقوية بالقوَّة

المُظاهرة مشتقَّةٌ من مادة الظَّهْر، وهي مفيدة لِمَعْنى المعونة على المجاز، وتختصُّ النُّصرة بأنَّها لا تكون إلّا على المنازع والخصم والمناوئ المشاغب، والإعانة تكون على ذلك وعلى غيره، تقول أعانه على من غالبه، ونازعه ونصره عليه، وأعانه على فَقْره؛ إذا أعطاه ما يعينه، وأعانه على الأحمال، ولا يقال: نصره على ذلك، والتَّقوية من اللّه تعالى للعبد هي إقداره على كثرة المقدورِ، ومن العبد للعبد إعطاؤُهُ المال وإمداده بالرجال، وهي أبلغُ من الإعانة، ألا ترى أنَّه يقال: أعانه بدرهم، ولا يقال: قوّاه بدراهم، وإنَّما يقال: قوّاه بالأموال والرِّجال، وقال بعضهم: التَّقوية تكون على صناعة، والنُّصرة لا تكون إلّا في منازعة، فالإعانةُ عامَّة والتَّقوية والنُّصرة خاصَّة[2].

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 398، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 264.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 137، 189، والكفويّ، الكلّيات، ص: 592.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»